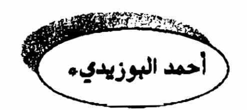




الزوايا العلمية بواحة لكتاوة على عهد السعديين والعلويين


أحمد البوزيدي*

مقدمـــة.

كانت واحة لكتاوة، كغيرها من واحـــات درعـــة علـــى عـــهد السـعديين والعلويين، تزخر بعدد كبير من الزوايا العلمية والصوفية، ومن أهم هـــذه الزوايـا على الإطلاق زاوية الدفاليين بأدوافيل(1) وزاوية الصالحيين بقصر بني صبيح(2) وقد نَبُه من هاتين الزاويتين ثلة من العلماء أحيى الله بهم مـــااندرس مـــن العلـم بـهذه الواحة، بعد خمول القرن التاسع الهجري / 15م خلال العهدين السـعدي والعلـوي. ولن نبالغ في شيء إذا قلنا أن الفضل في النهضة العلمية التي طفحـت بـها بـلاد درعة إبانه، يرجع إلى ثلة من علماء جزولة الذين طرأوا على الوادي منـذ مطلـع القرن العاشر الهجري / 16م(3)، وإذا كانت المسيرة العلمية لزاويـة الدفـاليين قـد عرفت تراجعا كبيرا بعد وفاة سيدي أحمد أدفال سنة 1023هـ / 1614م، فإن زاويـة الصالحيين قد التقطت المشعل، وظلت تقوم بدورها العلمي إلى غاية أواسط القــرن الثاني عشر الهجري / 18م، لتتكمش بدورها على نفسها بعد وفاة الفقيه أحمـد بـن صالح سنة 1149هـ/ 1736م. إذن فما هي أهم المراحل العلمية لهاتين الزاويتيـن ؟ وما هي الأسباب التي جعلتها تتوقف عن دورها التعليمي بالمنطقة ؟

* أستاذ باحث بكلية الآداب ظهر المهراس / فاس.

I . زاويــة أدوافيــل.

1 ــ تأسيـس الزاويــة.

مؤسس هذه الزاوية هو الفقيه محمد بن محمد أدفال(4) الـذي يرجـع إليـه الفضل في تأسيس مدرسة علمية بأدوافيل في زمن غير معروف من النصف الأول من القرن العاشر الهجري / 16م. لا نكاد نعرف شيئا عن نشأته ومراحل تعليمـه ونستفيد من بعض الإشارات التي أوردها محمد حجي أن محمد أدفال، كـان علـى اتصال وثيق بعلماء وشيوخ زاوية سيدي علي بن مَحمد الجزولي البكـري بواحـة فزواطة، ولا نستبعد أن يكون محمد أدفال قد تخرج من مدرسة هذه الزاوية، وممـا يدعم ما ذهبنا إليه، أن اسمه قد ورد في بعض إجازات علماء مصر إلـى سـيدي محمد بن محمد بن علي الجزولي، وكان محمد أدفال يُحلَّى فـي هـذه الإجـازات بالشيخ(5) مما يدل على تميزه بين أقرانه ممن ورد ذكرهم في هذه الإجازات.

كان محمد أدفال فقيها مشاركا وعالما واسع الاطـلاع فـي علـوم الفقـه والحديث، ومبرزا بشكل خاص في علمي الكلام والمنطق، وقد تجـاوزت شـهرته بلاد درعة إلى جهات أخرى من البلاد، وكان له ذكر بين علماء فاس بعد مشـاركته في النقاش الحاد الذي تفجر بين الفقيهين عبد الله الهبطي ومحمد بن عبد الرحمـان اليسيتني(6) للرد على رسالة الخروبي إلى علماء فاس(7). ويظهر أن طريقة نقاشـه للمسائل العقدية التي أثارتها رسالة الخروبي مـن خـلال محاوراتـه مـع أحمـد المنجور(8) قد نبهت علماء فاس إلى سعة علم محمد أدفال ودقة ملاحظاته وأسـلوب طرحه للحجج النقلية والعقلية التي كان يسوقها، فتحولـت رسـائله بدورهـا إلـى موضوع للنقاش بين أهل فاس(9) وقد توفي هذا الفقيه الجليل سنة 963هـ.

2 ــ زاوية أدوافيل في عهد أحمد أدفال.

أ ــ مولده ونشأته : ولد سيدي أحمد أدفال طبقا لأقرب الروايات إلى عصره، قـرب الثلاثين وتسعمائة هجرية(10) وكان والده قد أوصى قبل وفاته الرجل الصالح سـيدي محمد بن محمد الجزولي البكري، ليتكفل بتربية ابنه، فنشأ في فضاء زاوية سـيدي علي بمنطقة تامكروت، وقضى طفولته بين أقرانه من أطفال الزاوية، فرتع مبكـرا في حلقات الذكر والتصوف التي كان يعقدها شيوخ وعلماء الطريقة الجزولية الذيـن نزلوا بالزاوية بعد بزوغ نجمها في مطلع القرن العاشر الهجري /16م.

وتدل كل القرائن على أن سيدي مُحمد بن مَحمد الجزولي، قد اعتنى بتربيـة سيدي أحمد أدفال، اعتناءه بباقي أبنائه، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم حفظ القـرآن الكريم، ولاحت عليه مخاييل النجابة وهو لم يبلغ الحلم بعد، فدفع بـه كافلـه إلـى مجالس العلم، فارتوى مما كان يروج من العلوم بزاوية سيدي علـي، فـأخذ عـن سيدي مُحمد بن مّحمد وعن باقي العلماء المتصدرين للتدريس من علمـاء جزولـة وعلماء درعة(11) . فلما اشتد عوده انتقل إلى زاوية الحنا بواحة ترناتـة، فواظـب

على الحضور في حلقات الدروس العليا في الفقه والحديث والتفسير وغيرها من المواد التي كانت تدرس بجامع هذه الزاوية (12) ، وبعد ذلك انتقل إلى زاوية تاكمادارت حيث أخذ عن سيدي عبد الله بن مسعود وغيره من العلماء بهذه الزاوية.

ويظهر أن سيدي أحمد أدفال، قد آنس من نفسه أنه استوعب ما كان يروج من علوم بوادي درعة، فقرر الرحيل إلى فاس للاستزادة والاستفادة.

ب ـ رحلاته العلمية والصوفية : وصل سيدي أحمد أدفال إلى فاس أول مرة، وكانت المدينة تتأرجح بين السعديين والوطاسيين، ورغم هذا الجو المضطرب فإن الدراسة لم تتوقف بجامع القرويين، وهكذا يكون أدفال قد حضر دروس علي بن هارون المطغري في الفقه(13) كما أخذ الفقه والتفسير عن علامة فاس في وقته الشيخ عبد الوهاب الزقاق(14).

ويبدو أن الصراع على السلطة بفاس في أواسط القرن 10 / 16م بين السعديين والوطاسيين قد أرغم سيدي أحمد أدفال على العودة إلى مسقط رأسه حيث تصدر للتدريس بزاوية أدوافيل، فانتفع به خلق كثير خاصة من سوس ودرعة والأطلس المتوسط، ومن أبرز المتخرجين عليه نذكر على سبيل المثال لا الحصر الشيخ يحيى بن عبد الله الحاحي صاحب زاوية زداغة بالأطلس الكبير(15) والفقيه مُحمد بن أبي بكر العياشي(16) وسيدي إبراهيم بن عبد المومن لكتاوي(17) وابنه سيدي محمد بن أحمد أدفال، وقد تفقه محمد أدفال على أبيه فتخرج عالما مشاركا الأمر الذي كان يجعل سيدي أحمد أدفال يعهد إليه بتدبير أمور الزاوية، وينيبه للقيام بالتدريس أثناء رحلاته الصوفية وغيابه عن وادي درعة. لم يمض على عودة سيدي أحمد أدفال إلى درعة إلا وقت قصير، حتى سمت همته إلى سلوك طريق القوم، فشد الرحال إلى سوس، يتقرى شيخا مربيا يُسلّمه زمام أمره وقد وجد ما يوافق ذوقه في شيخ تزروالت في وقته سيدي أحمد بن موسى السملالي(18) ، فأخذ عنه، وقد توطدت الصحبة بين الأحمدين إلى درجة أن سيدي أحمد أدفال ظل يزور سيدي أحمد بن موسى مدة عشرة أعوام، في كل عام مرة، ويذكر صاحب اقتفاء الأثر أنه جرت بين الرجلين أحوال عجيبة وآثار غريبة(19) ولعل أقل ما ورثه أدفال عن شيخه هو التنقل المستمر وزيارة الأقطار البعيدة، فهل كان الشيخ يحضه على الرحلة عندما سلمه عكازه ؟

ج ـ رحلات أدفال إلى المشرق: رحل سيدي أحمد أدفال رحلته الأولى إلى المشرق فأدى مناسك الحج، فاجتمع بعدد من علماء وشيوخ الأسرة الحطابية بمكة(20) فأخذ عنهم، كما التقى ببعض العلماء من مصر والحجاز فقدَّروه حق قدره، لسعة علمه ورسوخه في طريق القوم، فأجازوه إجازات عامة، وبهذه الإجازات يكون سيدي أحمد أدفال من العلماء المغاربة القلائل الذين جمعت بأيديهم أسانيد علماء المشرق إلى أسانيد علماء المغرب(21). وكعادة العلماء المغاربة عرَّج سيدي أحمد أدفال أثناء

عودته من الحج على القاهرة، فحضر بعض الدروس في جامع الأزهر الشريف فالتقى بالشيخ أبو المكارم محمد البكري(22) فوجد في تصوفه بعض صفات الشيخ أحمد بن موسى وقد توطدت الصلات الروحية والعلمية بين أدفال والشيخ البكري فأجازه إجازة عامة ولقنه الورد الخاص بالطريقة البكرية(23).

وفي رحلته الثانية إلى المشرق(24) قام سيدي أحمد أدفال بزيارة الشيخ البكري، فتمتنت روابط الصحبة بين الرجلين ووسمه الشيخ البكري بعلامته الخاصة(25) . وقد وجد أدفال في البكري الرجل الذي ملأ الفراغ الروحي الذي خلفته في نفسه وفاة سيدي أحمد بن موسى.

وبعد عودة سيدي أحمد أدفال واستقراره بصفة نهائية بزاوية أدوافيل، ظل يراسل الشيخ البكري، وقد كان هذا الأخير يرد عليه، وقد ذكر العياشي في اقتفاء الأثر أنه رأى الكثير من هذه الرسائل مما يدل على كمال فضل أدفال(26). خصص أدفال بعد استقراره النهائي بأدوافيل، وقته للتدريس وتربية المريدين، ويعرف عنه أنه كان يتقن فنونا كثيرة، إلا أنه كان مبرزا في علوم الحديث رواية ودراية، ويتقن الفقه إتقانا تاما، ومن القضايا الفقهية التي أثارها سيدي أحمد أدفال، وكانت موضوع نقاش حاد بينه وبين شيخه سيدي مّحمد بن مهدي الجراري، إفتاؤه بضرورة استبراء المرأة التي يختلي بها الأجنبي لغلبة الفساد بين سكان المنطقة إبانه(27) ، وقد توقف علماء وادي درعة في الرد على فتوى أدفال لقوة حججه ومعرفته الدقيقة بأحوال القبائل.

عايش سيدي أحمد أدفال في أخريات أيامه، مظاهر الصراع على السلطة بين أبناء المنصور، وانهيار الأوضاع الأمنية بمناطق الواحات في مطلع القرن الحادي عشر الهجري / 17م، حيث عانت بلاد درعة الأمرين من فساد وسلوك قواد أبناء المنصور، الذين كانوا ينزلون بحركاتهم إلى الوادي لإرغام الناس على دفع الأموال، والكشف عما يكنزوه منها تحت طائلة التهديد بالتعذيب والقتل(28)، ولاشك أن سيدي أحمد أدفال، قد عايش أيضا نزول أحمد بن أبي محلي بواحة لكتاوة ومنها أعد العدة لاحتلال مراكش(29). وقد لخص أدفال موقفه من هذه الأحداث في وصيته لأبنائه بأن يتجنبوا الاختلاط برجال المخزن، وأبناء الدنيا، وعلماء الدنيا وألا يخالطوا إلا العلماء العاملين(30).

وقد توفي سيدي أحمد أدفال عن سن عالية عام 1023هـ / 1614م وبوفاته تراجع النشاط العلمي والصوفي بزاوية أدوافيل بعد عقود من المثابرة والجد في إفادة المتعلمين وتربية المريدين، وبالجنوب من أدوافيل تأسست مدرسة بني صبيح في محاولة لبعث النشاط العلمي بواحة لكتاوة بعد وفاة سيدي أحمد أدفال.

II . الزاويـــة العالميـــة .

1 ـــ من المدرسة إلى الزاوية.

بعدما تخرج الفقيه إبراهيم بن عبد المومن الكتاوي من مدرسة أدوافيـــل(31) وبعدما حصل من سيدي أحمد أدفال على الإجازة العامة، عاد إلى مســـقط رأســه بقصر بني صبيح فأسس مدرسة علمية، طار لها صيت الاشتهار بعد وفاته مع ابنــه سيدي صالح وحفيده سيدي أحمد وذلك في العقود الأخيرة من القرن الحادي عشـــر الهجري / 17م وردحا من القرن الثاني عشر الهجري / 18م.

لا نكاد نعرف شيئا عن أخبار الفقيه إبراهيم بن عبد المومن بعد عودته إلـى بني صبيح وتصدره للتدريس، ولم تسعفنا المصادر التاريخية إلا بشـــذرات طفيفـة وردت عند سيدي أحمد بن صالح، الذي وصف جده بأنه كان صاحب فقه وحديـث وتدريس، حيث أحيى الله به بعض المراسم البالية(32) . ونستفيد من هذه الإشـارة أن للفقيه إبراهيم بن عبد المومن عناية خاصة بعلـوم الحديث والفقـــه وهــي مـن الفنون الذي فاز فيها الشيخ أحمد أدفال بالتبريز والتميز بين علماء درعة في وقتـــه فهل يمكن القول بأن أدفال قد أجاز الفقيه إبراهيم بن عبد المومن في هذين الفنين ؟

اشتهر سيدي إبراهيم بعد تصدره للتدريس بفضيلته، وثبتت طاعتـــه لربــه فشهد له الناس بالولاية والسيادة(33) فبات يعرف بين بني قومه بالمرابط(34) ، وقـــد توفي سيدي إبراهيم بن عبد المومن في زمن غير معروف خلال العقد الثالث مـــن القرن الحادي عشر الهجري / 17م، فتوقفت مدرسته عن نشاطها العلمي، وأصبـــح دورها مقتصرا على تدريس القرآن الكريم إلى أن عاد الفقيه ســـيدي صـــالح بـــن إبراهيم من وادي الرتب في أواسط العقد السابع من القرن الحادي عشر الـــهجري / السابع عشر الميلادي، فجلس مجلس أبيه وأقبل على تدريس العلم، وأحيى الله به مـــا اندرس بمدرسة بني صبيح.

2 ـــ مولد سيدي صالح ونشأته العلمية:

ولد سيدي صالح بن إبراهيم في أواسط العشرة الأولى من القـــرن الحـــادي عشر الهجري / 17م، أخذ مبادئ القراءة والكتابة تحت نظر أبيه، وبعد وفاته تكفـــل بتحفيظه القرآن الكريم بمسجد قصر بني صبيح(35) أخوه الأكبر سيدي محمـــد بـــن إبراهيم، والفقيه سيدي محمد بن الحسن السوسي، وعلى عادة طلبة القرآن الكريـــم بدرعة غادر سيدي صالح مسقط رأسه فالتحق بقصر أستور فأخذ عن الفقيه ســـيدي محمد العربي، ثم عن الفقيه أحمد بن منصور بقصر تارغليل، ثم توجه إلى تـــازرين فأخذ عن الفقيه سيدي عبد العزيز بن محمد(36).

ويظهر أن سيدي صالح لم يجد عـــند هذه الثلة من الفقـــهاء بدرعـــة مـــا يـــشفي غلته فانتقل إلى بلاد غريس، وكانت إبانه تزخر بجلة من المقرئين، فـــأخذ عن الفقيه سيدي محمد المصمودي(37)، والعلامة محمـــد بـــن محمـــد السجلماســـي

التجموعتي(38) ويذكر سيدي صالح أن الفضل كله في إتقانه للقرآن الكريم كتابة وتجويدا يرجع إلى هذين العالمين الجليلين، وكان سيدي صالح لدماثة خلقه وتواضعه والاشتغال بما يخصه، يجد قبولا من شيوخه، الذين يقدرون فيه حسن الطوية والنية الخالصة في التعلم.

وبعدما ملأ وطابه علما تطلع إلى سلوك طريق القوم، وفي هذا الصدد يذكر صاحب الدرر المرصعة، أن سيدي صالح ظل أثناء وجوده ببلاد غريس "يتنقل عبر بطون الأودية ورؤوس الجبال بحثا عن شيخ ينتقل به من عالم الأسطار إلى عالم الأنوار والأسرار"(39) ، ولم يجد ضالته إلا بوادي الرتب حيث ساعدته الأقدار إلى حضرة الشيخ سيدي أحمد بن عبد الصادق(40) بضريح الشيخ سيدي علي الكومي(41). لزم سيدي صالح الشيخ بن عبد الصادق، وتفانى في خدمته فأقبل عليه الشيخ بكليته، بعدما لاحظ صدق توجهه وصفاء سريرته، فأحسن تربيته حتى استقام على الطريق وبلغ شأوا كبيرا في طريق القوم.

ورغم أننا لم نتمكن من تحديد المدة الزمنية التي قضاها سيدي صالح إلى جانب شيخه، فإنه من المؤكد أن سيدي صالح قضى عدة سنوات بوادي الرتب، فاندمج كلية مع سكان قصور الرتب، فتزوج بقصر ربيتْ وتزيَّد له هناك عدد من الأولاد، أشهرهم على الإطلاق سيدي أحمد بن صالح الذي يعتز بخؤولته في أهل رْبيْت(42).

كان الشيخ بن عبد الصادق، قبيل وفاته بقليل قد أمر سيدي صالح بالعودة إلى وادي درعة، وهكذا ما كاد يتوارى بالتراب سنة 1066هـ / 1655م، حتى عجل سيدي صالح بالعودة إلى مسقط رأسه بواحة لكتاوة. وبعد إعادة ترتيب أمور بني أبيه، عول سيدي صالح على إحياء حلقات التدريس بالمدرسة التي أنشأها والده بقصر بني صبيح.

3 ـ محاولة إحياء النشاط العلمي بقصر بني صبيح

كانت بلاد درعة في ذلك الوقت الذي عاد فيه سيدي صالح إلى موطن أجداده بابني صبيح، تعيش مخاض تعزيز سلطة الأشراف العلويين بعد تغلبهم على السملاليين بعد سلسلة من المعارك الضارية بواحات مزكيطة وتينزولين وترناتة(43) أما على المستوى العلمي، فإن هذه الفترة بالذات قد عرفت الانطلاقة العلمية لزاوية تامكروت بعدما نجح الشيخ مَحمد بن ناصر من تصفية مشاكله مع الأنصاريين والاستقرار بصفة نهائية بقصر تامكروت. ونتساءل عن طبيعة العلاقة التي كانت تربط سيدي صالح بالأشراف العلويين. وهل سينجح في بعث الروح بمدرسة بني صبيح في وقت كانت فيه واحة فزواطة تعج بمدارسها العلمية(44) وطلاب العلم الذين يحجون إليها من كل الأصقاع ؟

يتضح من خلال مسيرة سيدي صالح بعد عودته واستقراره بصفة نهائية بقصر بني صبيح، أنه لم يكن بإمكانه أن يجاري الحركة العلمية النشيطة بواحة

فزواطة، لقلة ذات اليد من جهة، ولعجز سكان قصر بني صبيح على توفير كل اللوازم الضرورية للطلبة الأفاقيين، وهكذا اقتصر سيدي صالح في بدايته التدريسية على تحفيظ كتاب الله لبعض تلامذته من أهل لكتاوة وأبنائه سالكا معهم الطريقة التقليدية التي كانت سائدة منذ القديم بواحات درعة(45)، فإذا استأنس منهم الإتقان في الحفظ والرسم والتجويد، انتقل بهم بالتدريج إلى التبحر في علوم القرآن بالاعتماد على جملة من الكتب التي تهتم برسم القرآن وطرق تجويده مثل "الشاطبية" و"تبصرة المبتدئين" على قراءة عبد الله بن كثير، وكتاب "البيان على ترتيب تلاوة القرآن" و"مورد الظمآن"، و"الدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع"(46) ثم ينتقل بهم إلى بداية سلوك دروب الفقه والعلم بمعناه الواسع، بتحفيظهم بعض المتون كابن عاشر والألفية، والأجرومية وغيرها. وبالرغم مما كان سيدي صالح يبذله من جهود لإثارة الانتباه إلى رغبته في إحياء النشاط العلمي بمدرسة بني صبيح، فإنه لم يستطع في المرحلة الأولى أن يكون في مستوى المنافسة مع مدارس واحة فزواطة خاصة مدرسة تامكروت الفتية. وهكذا أدرك سيدي صالح أنه لا يمكن أن يحقق حلمه ببعث حركة علمية بالكتاوة دون دعم من "أمراء الوقت" من أشراف تافيلالت لذلك نلاحظ أن سيدي صالح قد عاد إلى موطنه، والعلويون لم يتمكنوا بعد من إكمال إخضاع قبائل الواحات الجنوبية بواحات درعة، ويظهر أنه استغل هذا الوضع ليضع نفسه رهن إشارة العلويين، ونستفيد من بعض الإشارات في كتاب "تجديد المراسم البالية" أن سيدي صالح قد حول بيته بقصر بني صبيح على عهد مولاي مّحمد (1050 – 1075هـ) وعهد مولاي رشيد (1075 – 1082هـ)(47) إلى مركز لاستقبال مبعوثي الأشراف إلى هذه الجهات، وكان الأشراف يستشرونه في عدد من القضايا التي لها علاقة بأمور قبائل المنطقة، ولن نبالغ في شيء إذا قلنا أن سيدي صالح قام بدور كبير في إقناع قبائل لكتاوة وقبائل محاميد الغزلان وبعض القبائل المترحلة بالهوامش الجنوبية لبلاد درعة بالانضمام إلى الإمارة العلوية ولعل ما يؤكد أن أمراء الوقت من العلويين وممثليهم بالوادي كانوا لا يردون له شفاعة، ويغدقون الصلات السنية والهدايا الفخمة تشجيعا وتقديرا له على ما يقوم به لصالح المخزن العلوي(48) ولنا أن نتساءل عن الأسباب الخفية التي جعلت الشيخ أحمد بن عبد الصادق يأمر سيدي صالح بالعودة إلى درعة ؟ هل كان هذا الشيخ قد أعد سيدي صالح إعدادا خاصا ليكون واسطة بين الأشراف وقبائل درعة ؟

وبعد مقتل مولاي رشيد، وبيعة مولاي إسماعيل سنة 1082هـ ، كان السلطان الجديد في حاجة إلى شخص في مثل تكوين سيدي صالح بن إبراهيم ليحض القبائل على الالتزام بطاعة السلطان الذي بايعه أهل الحل والعقد بفاس، حتى لا تنجرف مع ثورة أحمد بن محرز الذي تمكن من التمركز بواحة تينزولين(49)، وقد وقع اختيار مولاي إسماعيل على سيدي صالح لكونه قد تربى علميا وصوفيا بوادي الرتب ويرتبط عاطفيا ونفسيا بجهة تافيلالت، وقد

أظهر ولاء تاما للأشراف في عهد الأميرين السابقين، وأن شخصيته لا تنم عن أي طموح سياسي قد يشوش على المخزن الإسماعيلي أو ممثليه لاحقا بدرعة التي تنفتح مباشرة على الطرق الصحراوية(50) خاصة أن العلاقة بين مَحمد بن ناصر ومولاي إسماعيل لم تتوضح بعد، نظرا لما شابها من توتر على عهد السلطان مولاي رشيد(51) . ونستشف من خلال تطور الأحداث السياسية بدرعة أن سيدي صالح كان في مستوى المهمة التي أنيطت به، ذلك أنه لم يثبت إطلاقا أن قبائل لكتاوة ومحاميد الغزلان قد انحازوا إلى ثورة أحمد بن محرز مثلما فعلت بعض القبائل بواحتي ترناتة وتينزولين التي انضمت إلى جانب أحمد بن محرز(52).

يبدو أن مولاي إسماعيل قد اعترف لسيدي صالح بهذه المزية التي تميز بها عن جل فقهاء وادي درعة في ذلك الوقت، فأغدق عليه الأموال الطائلة وسلم إليه الظهائر السلطانية التي "تسدل عليه أردية التوقير والاحترام، وتسقط عليه المغارم والكلف المخزنية(53) ، وهكذا تغيرت أحوال سيدي صالح من الفقر وقلة ذات اليد إلى الثراء، ومن إنسان كان منسيا بين جدران قصر رُبيتْ بوادي الرتب إلى رجل يتمتع بالجاه والسمعة الطيبة بين القبائل ، فأثل الأملاك وظهرت عليه آثار النعمة فتطلع إلى تأسيس زاوية خاصة به وبأتباعه الذين يتكاثر عددهم يوما بعد يوم لتكون مركزا لتربية المريدين ومدرسة لتلقين العلوم للراغبين. ومأوى للفقراء وأبناء السبيل وملتقى للقوافل التجارية.

4 ـــ تأسيس الزاوية الصالحية.

بعد هذا التحول البين في الوضع الاقتصادي لسيدي صالح اكتفى في المرحلة الأولى بتأسيس زاوية صغيرة في بعض جوانب قصر بني صبيح، وتعرف محليا بالزاوية الدخلانية(54)، وما لبثت هذه الزاوية أن ضاقت بروادها من الطلبة خاصة من الجهات الصحراوية، بالإضافة إلى المريدين الذين يتطلعون إلى أخذ ورد الطريقة الصادقية من سيدي صالح(55). وأمام تزايد إقبال الأتباع، تخوف سيدي صالح من انشغال مولاي إسماعيل بهذا التطور، لذلك كان يعمد إلى تفريق طوائف المجتمعين، ويردد على مسمع المخبرين أنه لا يشارك الملوك في هولهم(56) ، ثم بدا له أن يطلب الإذن من السلطان بتأسيس زاوية كبيرة وذلك سنة 1088هـ / 1677م(57) يكون بإمكانها استيعاب الأعداد المتزايدة من الأتباع والمريدين بالإضافة إلى الطلبة الأفاقيين الذي يرغبون في الأخذ عن سيدي صالح.

صادف هذا التاريخ فرار أحمد بن محرز إلى درعة بعد اندحاره بمراكش(58)، لذلك نلاحظ أن مولاي إسماعيل كان يرغب في تطويق ثورة ابن محرز من جهة الجنوب، فوافق على توسيع الزاوية الصالحية، تشجيعا لسيدي صالح على استقطاب المزيد من أعيان القبائل الصحراوية حتى لا ينحازوا إلى تشغيب ابن محرز الذي ظل يتنقل ما بين تارودانت وتينزولين(59)، ولا يستبعد أن

يكون السلطان من خلال موافقته لسيدي صالح بتأسيس زاوية كبيرة، قد فكـر في دفع الزاوية الصالحية لتقوم بدور المنافس الممكن لزاوية تـامكروت التي بدأت شهرتها تتجاوز النطاق المحلي(60).

وكيفما كانت الخلفيات والحسابات التي جعلت المخزن الإسماعيلي يشجع الفقيه سيدي صالح ببناء هذه الزاوية، فإن الفقيه ما كاد ينتهي من بناء زاويته الجديدة حتى استقدم إليها عددا من العلماء والفقهاء للقيام بمهام التدريس، كما تدفق عدد من الطلاب على الزاوية، وقد حرص سيدي صالح على توفير كل الشروط الملائمة للعلماء والطلبة على حد سواء، على غرار ما كان سائدا في مدارس واحة فزواطة خاصة مدرسة زاوية تامكروت، حتى يتفرغوا كلية للتحصيل في شتى فنون العلم(61). وهكذا يكون سيدي صالح بعد كفاح مرير، قد نجح في تجديد المراسم البالية بإحياء النشاط العلمي الذي أسسه والده بمدرسة بني صبيح، بعد خمود وخمول امتد لعدة عقود. فما هي أهم المواد العلمية التي كانت تدرس بزاوية سيدي صالح ؟ وهل ستنجح هذه المدرسة لتكون المنافس المحتمل لمدرسة تامكروت التي باتت في نهاية القرن الحادي عشر الهجري / 17م تستقطب عشوات الطلاب من كل جهات المغرب ؟

5 ـ النشاط العلمي بالزاوية الصالحية.

بالرغم من أن سيدي صالح حاول منذ عودته إلى درعة في أواسط العقد السابع من القرن الحادي عشر الهجري / 17م، إعادة الحياة إلى المدرسة العلمية بقصر بني صبيح، فإن الانطلاقة العلمية الفعلية، لم تتم إلا بعد تأسيس الزاوية الصالحية الجديدة في نهاية العقد التاسع من نفس القرن، وعلى إثر التحول الكبير في الوضعية المادية لسيدي صالح، وهكذا استدعى سيدي صالح ابنه سيدي أحمد الذي كان مشارطا بقصر ربيت بواد الرتب، ليعود إلى درعة سنة 1090هـ / 1679م ليكون له عونا على تدبير أمور الزاوية والإشراف على شؤونها العلمية.

كانت دروس سيدي صالح في زاويته القديمة تقتصر على تحفيظ القرآن الكريم، والتركيز على العلوم التي لها علاقة بعلوم القرآن كما سبقت الإشارة إلى ذلك، إلا أنه بعد استقراره بالزاوية الجديدة، وسع من برامجه التدريسية مركزا بشكل خاص على الفقه، معتمدا في ذلك على "رسالة ابن أبي زيد القيرواني" و"منظومة الرقعي"، و"أرجوزة القرطبي" و"الواغليسية" وكلها من أمهات كتب الفقه على مذهب الإمام مالك، وكان يعرض على مختصر الشيخ خليل لفتنة نوازله وتشعب إشكالاته(62) وكانت السنوسية الصغرى، ومنظومة الحوضي معتمده في التوحيد، أما الحديث النبوي الشريف فقد كانت كتب الصحاح جميعها معتمد الدراسة في المدرسة الصالحية.

كانت الدراسة في زاوية سيدي صالح تبدأ مباشرة بعد صلاة الصبح وتستمر إلى صلاة العشاء في مساء كل يوم، وهذا النظام هو الذي كان سائدا في كل مدارس وادي درعة منذ القديم.

وطرق التدريس لا تخرج عن الطريقة التي وضعها سيدي محمد بن مهدي الجراري منذ أواسط القرن العاشر الهجري / 16م(63)، وتقتصر هذه الطريقة على تصحيح المتن والتقليل من الأنقال(64).

خلف سيدي صالح عددا من المؤلفات تزيد على سبعة وعشرين جلها في علوم القرآن وأسرار الحروف والأوفاق، بالإضافة إلى بعض المرجزات في الأمداح النبوية وأسماء الله الحسنى(65) ، ويغلب على هذه المؤلفات الطابع التدريسي إذ يظهر أن سيدي صالح أنه ألفها لتكون رهن إشارة طلبة المدرسة لعدم قدرته على تأسيس خزانة للكتب، على غرار ما قام به شيوخ الزاوية الناصرية بتامكروت. وقد توفي سيدي صالح بن إبراهيم عن سن عالية في أواخر عام 1096 هجرية، فخلفه ابنه سيدي أحمد بن صالح على رأس الزاوية ومدرستها.

6 ـ الزاوية الصالحية في عهد الفقيه أحمد بن صالح.

يعتبر سيدي أحمد بن صالح أبرز عالم على الإطلاق في الأسرة الصالحية(66)، تخرج على يد أبيه وأتم تعليمه بواد الرتب على يد العلامة سيدي محمد بن السمير(67) ،جلس سيدي أحمد بن صالح في مجلس أبيه لتدريس العلم ونال شهرة كبيرة وإقبالا عظيما، حيث كان الناس يتوافدون عليه من مختلف جهات المغرب وبشكل خاص من ناحية سوس والصحراء المغربية(68).

لم يلبث سيدي أحمد بن صالح أن جدد اتصاله بالمخزن الإسماعيلي، وقد توطدت العلاقة بين مولاي إسماعيل وأحمد بن صالح، في وقت كان السلطان ينظر فيه بنوع من الحذر إلى التطور الكبير الذي عرفته زاوية تامكروت في عهد أحمد بن ناصر الخليفة، وفي إطار استراتيجية مخزنية محلية، قام السلطان مولاي إسماعيل سنة 1098هـ بتسليم سيدي أحمد بن صالح ظهيرا سلطانيا، أقطع بمقتضاه أراض شاسعة بواحة لكتاوة لزاوية سيدي صالح "إعانة لأهلها على القيام بوظائفها التي هي مأوى للفقراء والمساكين"(69) . ولا مشاحة إذا قلنا بأن هذه الالتفاتة السلطانية قد عززت الوضع الاجتماعي لهذه الزاوية، وسمحت لها بتقوية مركزها ونفوذها بين قبائل الجنوب المغربي، كما عرفت طفرة اقتصادية بفضل ما كان يتدفق عليها من فتوحات ووعدات، إلا أن هذا التطور الذي عرفته الزاوية الصالحية، فتح أمام سيدي أحمد بن صالح أبواب الانشغال في مصالح المخزن وأغراض السلطان مولاي إسماعيل، وكثيرا ما كان السلطان يستقدمه إلى مكناس فيكلفه ببعض المهام في الأوساط القبلية بجهات درعة وسوس والمناطق الصحراوية(70). ومن النتائج المباشرة لهذه العلاقة بين مولاي إسماعيل والزاوية الصالحية، انشغال الفقيه أحمد بن صالح عن ممارسة التدريس لتغيبه المستمر عن

الزاوية، ولا يعقد حلقات التدريس إلا لماما، خاصة أن ذوي الحاجات، والهاربون من عسف وجور العمال المخزنيين، والمستشفعون بحرمة الزاوية، كانوا يتهافتون على أبوابها، وقد كان الفقيه لا يألو جهدا في مساعدة المستضعفين والتوسط لهم عند رجال المخزن، الذين كانوا يعرفون مكانته عند مخدومهم، فلا يردون له شفاعة. وقد كانت أبواب الزاوية مشرعة دائما وأبدا في وجه رسل مولاي إسماعيل وعماله وقواده، وكان سيدي أحمد بن صالح لا يبخل على زواره بالضيافات اللائقة والهدايا الملائمة(71).

وبالرغم من هذه الانشغلات، فإن سيدي أحمد بن صالح كان لا يتوانى في عقد حلقات تدريسية بزاوية أبيه كلما سمحت له ظروفه بذلك. وقد كان يسير في هذه الحلقات التدريسية على نهج والده في الاهتمام بتحفيظ كتاب الله، وإتقانه تجويدا ورسما، بالإضافة إلى إلقائه على كبار الطلبة دروسا في الفقه والحديث والتفسير وكانت له عناية خاصة بتدريس حديث البخاري وسرده في بعض المناسبات وبشكل خاص في شهر رمضان المعظم. ورغم أن الفقيه سيدي أحمد بن صالح ظل طول حياته، يتطلع إلى ممارسة التدريس بزاوية أهله بقصر بني صبيح، والحفاظ على التقليد الذي وضعه جده وأبوه، فإن أسفاره المتكررة في الأغراض السلطانية(72) حالت دون تطوير طرق التدريس بالمدرسة الصالحية، إذ لم يستطع سيدي أحمد بن صالح التحرر من التقليد الذي قعده والده بالتركيز فقط على علوم القرآن والعلوم الفقهية على نطاق محدود، بالمقارنة مع الطفرة الكبيرة التي عرفتها زاوية تامكروت بواحة فزواطة المجاورة، في عهد الشيخ أحمد بن ناصر الخليفة الذي كان معاصرا للفقيه أحمد بن صالح(73).

وإذا كان سيدي أحمد بن صالح، لم يتوفق لأسباب التي ذكرناها في تطوير طرق التدريس بالزاوية الصالحية والانتقال بها إلى مستوى المنافسة الجادة لزاوية تامكروت، فإن جهوده في التأليف، قد ساهمت بإغناء الرصيد التأليفي والعلمي للزاوية الصالحية، ذلك أن أسفاره المتكررة لم تحل بينه وبين القراءة والكتابة، حيث كان يحمل معه جملة من الكتب التي كانت تلازمه في حله وترحاله، وقد أثمرت هذه العصامية المتميزة في القراءة والكتابة جملة من المؤلفات ويقترب عددها من العشرين ومن أهمها :

1 ـ **تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة العالية** (74) : وقد دون فيه سيدي أحمد بن صالح أخبار والده ومناقبه والكتاب ما يزال مخطوطا.

2 ـ **الرحلة الشافية في الزيارة الكافية**: وهو كتاب دون فيه أخبار رحلة أخيه سيدي محمد بن صالح إلى المشرق لأداء فريضة الحج.

3 ـ **تيجان الإخوان في بسط المحبة والإيوان** : وهو عبارة عن فهرس بأسماء مريديه وأتباعه وبعض أصحابه، ويضم جملة من الرسائل التي دبجها سيدي أحمد

بن صالح، وقد دونت جملة من هذه الرسائل في آخر كتاب "الدرر اللامعة" للعباس بن أحمد الصالحي.

4 ــ **شفاء المريض في بساط القريض**. وهو عبارة عن ديوان من الأشعار المديحية، التي أقرضها سيدي أحمد بن صالح في عدة مناسبات متوسلا فيها إلى رسول الله(ص) ومستشفعا بجاهه، وقد ساق صاحب الدرر المرصعة، بعض القصائد الشعرية من هذا الديوان(75)، نستشف من خلالها أن الفقيه سيدي أحمد بن صالح كان يتمتع بقوة العارض، وموهبة عالية في استحضار الأغراض الشعرية كما أن أسلوبه ، رغم غلبة أسلوب الفقيه عليه من حيث البناء والمضمون، فإنه يمتاز بالسلاسة والدقة في التعبير. وله عدة قصائد شعرية تتراوح مواضعها بين الرثاء (رثاء الأهل والأحباب) والتشكي من الزمن وأهله، حيث تأثر كثيرا في أخريات أيامه، حيث لم يعد يتمتع عند المخزن الإسماعيلي بما كان يتمتع به من قبل(76)، خاصة أن عامل درعة خلال العقدين الثالث والرابع من القرن الثاني عشر الهجري / 18م مولاي الشريف بن إسماعيل قد نجح في تبديد مظاهر الشك والتردد بين الناصريين والمخزن العلوي على عهد الشيخ سيدي موسى بن محمد الكبير(77).

5 ــ **الهدية المقبولة** : وهذا الكتاب عبارة عن رجز طبي من ألف وإحدى عشر بيتا، وضعه المؤلف بعدما جمع مادته من عدة كتب ليسهل حفظه ويكون في متناول الجميع.

6 ــ **الدرر المحمولة في الهدية المقبولة**: وهذا الكتاب يعتبر من أضخم الكتب التي ألفها سيدي أحمد بن صالح، وقد سبق لنا أن عرفنا بشكل موسع بهذا الكتاب في العدد16 من مجلة أمل الغراء.

ولا تزال كل مؤلفات سيدي أحمد بن صالح مخطوطة ورهينة رفوف الخزانات العامة والخاصة، في انتظار من ينفض الغبار عنها لتعم فائدتها، وما ذلك على ذوي الهمم العالية بعزيز.

وقد توفي هذا العالم الجليل عن سن عالية عام 1149هـ / 1736م وبوفاته توقفت الحركة العلمية بالزاوية الصالحية خاصة أن البقية الباقية من علماء الأسرة وفقهائها قد هاجروا واحة لكتاوة ، فاستقر بعضهم بقصبة تامنوكالت بواحة مزكيطة بعالية وادي درعة، واستقر آخرون بواحة هسكورة شرق مدينة ورزازات.

وفي الختام يمكن القول أن هذه الحركة العلمية التي وضع الدفاليون أسسها الأولى بواحة لكتاوة في العقود الوسطى من القرن العاشر الهجري / 16م واستمرت مع الصالحيين إلى غاية نهاية النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري / 18م ، قد آلت بدورها إلى الخمود والنسيان بعد وفاة المؤسسين الأوائل ولم يبق من إشعاعها العلمي والصوفي إلا ما دونه علماء الأسرتين من الدفاليين والصالحيين، ولاشك أن نفض الغبار على ما تبقى من مخطوطات وطبعها لتعم

فائدتها، سيساهم في إلقاء المزيد من الأضواء على المـــاضي العلمـــي والصوفـــي لواحات وادي درعة.

الـهـوامـش :

1) — يظهر أن زاوية أدوافيل قد تحولت لاحقا إلى مجموعة من القصور الصغرى والقصبات (قصبة مولاي فضيل، المشاهيل، أدوافيل قصبة بلبالة وزاوية سيدي محمد بن الطيب) وتقع هذه المجموعة من القصبات والزوايا بالقرب من مركز تاكونيت الحالي، وقد اشتهرت قصبات ادوافيل خلال القـــرن الثـــالث عشـــر الهجري / 19م كمركز تجاري تلتقي فيه القوافل التجارية وقد زاره الرحالة الألماني رولف (Rohlfs) سنة 1863 وقضى به عدة أيام وذكر أن قوافل بلاد السودان كانت تحط الرحال بأدوافيل لتســـتبدل بالبضـــائع المحلية، كميات لا بأس بها من الذهب، بالإضافة إلى العاج والعبيد والجلود.

2) — يقع قصر بني صبيح غير بعيد عن أدوافيل وقد اشتهر كمركز تجاري منذ مطلع القرن العاشر الهجري / 16م وقد عرفنا بشكل موسع بهذا القصر في معلمة المغرب م.5. ص. 1240.

3) — فيما يتعلق بنزوح طائفة من علماء جزولة إلى وادي درعة أنظر : أحمد البوزيدي : مؤسســـة الزوايـــا بدرعة خلال القرنين 10 و11هـــ. مجلة أمل، عدد مزدوج. 19 – 20. ص. 41.

4) — أنظر ترجمته عند : محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب على عهد السعديــــين مطبعة فضالة:1 ج.2 ، ص. 553.

5) — محمد المنوني: حضارة وادي درعـــة من خلال النصوص والآثـــار. مجلـــة دعوة الحق، السنة 18 ع 2. أكتوبر 1973 ص. 141.

6) — أنظر ترجمة الهبطي واليسيتني عند : ابن عسكر : دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر. تحقيق محمد حجي – الرباط – 1976 ص.7 وص58 – 59.

7) — عنوان هذه الرسالة هو "رسالة ذي الإفلاس إلى خواص مدينة فاس" أنظر موضوع هذه الرســـالة فـــي الدوحة ص.9. وما أثارته من نقاش.

8) — أنظر ترجمته عند: محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثـــاني. تحقيـــق، محمد حجي وأحمد التوفيق – الرباط – 1977 . ج.1 ، ص.55.

9) — ما تزال رسالة محمد أدفال إلى أحمد المنجور بخزانة زاوية تامكروت ضمن مجموع تحت رقم .2085.

10) — اعتمدنا كثيرا في ترجمة سيدي أحمد أدفال على ما ورد عنه عند : أبو سالم العياشي : اقتضاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر. تحقيق ودراسة، نفيسة الذهبي – منشورات كليـــة الآداب الربـــاط 1996 ص. 106 – 107. وقد ذكر صاحب الإعلام (ج2. ص. 294) أن والد احمد أدفال قد توفي وترك ابنه صبيا. وإذا كان تاريخ وفاة محمد أدفال قد توفي حسب بعض المصادر سنة 963 وأن أحمد ولد قرب الثلاثين وتســـعمائة فإنه قد يكون عند وفاة والده قد تجاوز الثلاثين من عمره، فكيف يصح أن يقال أن والده تركـــه صبيـــا وتحت كفالة شيخ زاوية سيدي علي، فهل وقع خطأ في تاريخ وفاة الوالد، حيث يكون قد توفي مثلا ســـنة 936 ؟ وقد سكت صاحب اقتفاء الأثر الذي نقل عنه كل الذين ترجموا لأحمد أدفال على الأمر، رغم أنـــه أكد على كفالة الشيخ محمد بن محمد الجزولي لسيدي أحمد أدفال.

11) — من العلماء الذين تخرجوا من زاوية سيدي علي وتصدروا بها للتدريس نذكر علـــى ســـبيل المثـــال لا الحصر سيدي محمد بن مهدي الجراري، وسيدي عبد الله بن مسعود.

12) — كان الشيخ مـحمد بن مهدي الجراري هو المكلف بإلقاء هذه الدروس العليا ويساعده تلميذه سيدي ســـعيد الهوزالي.

13) — أبو سالم العياشي، م.س. هامش36. ص.106.

14) — نفسه. ن.م هامش 37، ص.106 – 107.

15) — أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى تحقيق وتعليف، جعفـــر النـــاصري، ومحمد الناصري، الدار البيضاء 1955 ، ج. 6 ، ص.35.

16) — العياشي ، م.س. ص. 104.

17) — المنوني. م.س.ص.142.

18) — أنظر ترجمته مطولة عند: المختار السوسي، إيليغ قديما وحديثا – الرباط – 1966 – ص. 17 فما بعد.

19) — العياشي.م.س. ص. 108.

20) — الأسرة الحطابية أسرة عالمة أنجبت عددا من العلماء هاجرت من الأندلس واستقرت بالمغرب ثم هاجرت من المغرب في العقود الأخيرة من القرن التاسع الهجري إلى المشرق واستقرت بمكة، وقد تصدر عدد من علماء الأسرة للتدريس وتلقين الأوراد بمكة المكرمة.

21) — المنوني.م.س. ص.141.

22) — ترجم له أبو سالم العياشي في اقتفاء الأثر ترجمة مطولة (ص.161 – 162).

23) — الطريقة البكرية التي أسستها الأسرة البكرية بالقاهرة فرع من فروع الطريقة الشاذلية ومن أورادها المهمة حزب الفتح لأبي الحسن الشاذلي.

24) — لم نتمكن من تحديد زمن رحلتي سيدي أحمد أدفال إلى المشرق ونرجح أن يكون ذلك ما بين وفاة أحمد بن موسى سنة 971هـ ووفاة البكري سنة 994هـ.

25) — أنظر عن هذه العلاقة ما ذكره أبو سالم العياشي.م.س. ص. 109.

26) — أبو سالم العياشي.م.س. ص. 109.

27) — محمد المكي الناصري: الدرر المرصعة. مخطوط.ص.5.

28) — أنظر بعض ما تعرضت له بلاد درعة من قواد أبناء المنصور عند :خورخي دي هنين : وصف الممالك المغربية (1603 – 1613) تقديم وتعليق دي كوثمان. ترجمة عبد الواحد أكمير – نشر معهد الدراسات الإفريقية 1997 . ص. 38 – 66 – 138 الخ.

29) — محمد حجي : الزاوية الدلائية – ط 1. الرباط 1964 ص. 133.

30) — ما تزال وصية سيدي أحمد أدفال بخزانة تامكروت الناصرية ضمن مجموع برقم 2085.

31) — المنوني ، م.س. ص.142.

32) — أحمد بن صالح، تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة العالية مخطوط خاص. ص.2.

33) — محمد المكي الناصري: الدرر المرصعة مخطوط ص.106.

34) — المهدي الصالحي، أعلام درعة، الدار البيضاء 1974 ، ص.6

35) — يوجد بقصر بني صبيح مسجدان كبير وصغير، ولا ندري في أيهما تعلم سيدي صالح بن إبراهيم.

36) — محمد المكي بن موسى الناصري: م.س. ص.151 – 152.

37) — أنظر ترجمة الفقيه المصمودي عند : مصطفى ناجي: الوثائق السجلماسية – الرباط – 1988 ص 3 فما بعد.

38) — لم نتمكن من الاطلاع على ترجمة هذا الفقيه اللهم ما ورد عنه من إشارات عند المكي الناصري في الدرر المرصعة.ص.152.

39) — محمد المكي الناصري، م.س. ص.152.

40) — أنظر ترجمته عند: محمد بن الطيب القادري. نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق ، محمد حجي، أحمد التوفيق – الرباط ــ 1982 ج.2 – ص. 77.

41) — يعتبر سيدي علي الكومي واحدا من أبرز شيوخ الطريقة الزروقية الشاذلية بجهات تافيلالت ووادي الرتب.

42) — أحمد بن صالح، تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة العالية. مخطوط .ص.7.

43) — فيما يتعلق بالصراع على السلطة بين العلويين والسملاليين بدرعة أنظر :

— أحمد البوزيدي: التاريخ الاجتماعي لدرعة، الدار البيضاء ، 1994 ص. 92 – 96.

44) — من المدارس العلمية المعروفة آنذاك بواحة فزواطة مدرسة تاكمادارت مدرسة أغلاودرار، مدرسة زاوية سيدي علي، ثم مدرسة زاوية تامكروت التي انتعشت بعد استقرار محمد بن ناصر بها بعد ركود طال حوالي قرن من الزمن.

45) — لا تختلف طرق تحفيظ القرآن الكريم بدرعة عن الطرق السائدة في مجموع أنحاء المغرب أنظر : المختار السوسي: مدارس سوس العتيقة دون تاريخ – طنجة – ص. 13 – 16.

46) — كانت هذه الكتب هي معتمد العلماء المبرزين في القراءات في كل من درعة وتافيلالت وسوس والصحراء المغربية وموريطانيا.

47) — أحمد بن خالد الناصري : الاستقصا – 1956 ج.7 ص. 15 – 43.

48) — أحمد بن صالح: تجديد المراسم البالية.ص 24 – 27.

49) — عبد الرحمان بن زيدان: المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف. تحقيق ع. الهادي التازي. الدار البيضاء.1993 . ص. 157.

50) — فيما يتعلق باهتمام السلطان مولاي إسماعيل بالمناطق الصحراوية أنظر : مولاي إسماعيل : إلى ولـــدي المامون. تحقيق ع الوهاب بنمنصور – الرباط 1967 ص. 36 – 40.
51) — فيما يتعلق بالتوتر الذي عرفته العلاقة بين السلطان مولاي رشيد ومحمد بن ناصر حتى كان السلطان قد هيأ حملة عسكرية لتخريب زاوية تامكروت أنظر : أحمد بن خالد الناصري. طلعة المشتري في النســب الجعفري. طبعة حجرية . فاس. ج1 . ص.259 – 260.
52) — أحمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة ، ص.109 – 110.
53) — نتوفر على مجموعة من الظهائر السلطانية ترجع إلى عهد مولاي إسماعيل وحفيده سيدي محمد بن عبد الله تسدل أردية التوقير والاحترام على سيدي صالح وأبنائه وحفدته.
54) – G. Spillman : Districts et tribus de la Haute vallée du Draa A.M.V. 9 Paris 1931. P. 183.
55) — فيما يتعلق بأوراد الطريقة الصالحية التي كان سيدي صالح يلقنها لمريديه وأتباعه أنظر : أحمد بن صالح تجديد المراسم البالية، ص.20 – 21.
56) — أحمد بن صالح ، م.س. ،ص.18.
57) — المهدي الصالحي ، أعلام درعة، ص.10.
58) — الناصري ، الاستقصاء ، ج.7 ، ص.50.
59) — أحمد البوزيدي ، مادة تينــزولين، معلمة المغرب ، المجلد 8 ، ص.2759.
60) — فيما يتعلق بسياسة السلطان مولاي إسماعيل لإضعاف بعض الزوايا في دفع بعض الزوايــا الأخـرى لدخول ميدان المنافسة أنظر :
- Brignon et ses Collaborateurs : Histoire du Maroc Paris .1967. p. 244.
61) — احمد بن صالح، تجديد المراسم البالية، ص.9.
62) — أحمد بن صالح. م.س. ص.4.
63) — يعتبر محمد بن مهدي الجراري مؤسس هذه الطريقة التي أطلق عليها محمد حجي مدرسة الجنوب.
64) — محمد حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، مطبعة فضالة – 1979 – ج1 ص.95.
65) — أحمد بن صالح، م.س. ، ص.13 ، 14 ، 15.
66) — سبق لنا أن عرفنا بالشيخ الفقيه سيدي أحمد بن صالح بمجلة أمل ، العدد 16 ابتداء من ص.76.
67) — أحمد بن صالح.م.س. ، ص.8،
68) — العباس بن أحمد الصالحي. الدرر اللامعة في السيرة الحسنة الجامعة مخطوط خاص. ص.15.
69) — نشكر الأستاذ السيد عبد الرحمان أبو الشرع الصالحي الذي أمدنا بعدد من الظهائر السلطانية التي تسدل أردية التوقير والاحترام على أبناء سيدي صالح حيثما وجد بلكتاوة ومزكيطة وسكورة...الخ.
70) — العباس بن أحمد الصالحي، م.س. ، ص.5.
71) — نفسه ، م.س. ص.16.
72) — فيما يتعلق بأسفار سيدي أحمد بن صالح وتنقلاته المستمرة أنظر الفصل الثالث من كتاب الدرر اللامعة للعباس الصالحي.
73) — تغيرت الأوضاع الاقتصادية بالزاوية الناصرية في عهد سيدي احمد بن ناصر الخليفة بشـــكل ملفـت للنظروتعددت مداخلها سواء من الأملاك المحبسة أو ما كان يصلها من فتوحات من مختلف فروع الزاوية التي تجاوز عددها أكثر من ثلاثمائة فرع بمختلف جهات المغرب، وبفضل هذا التحول الاقتصادي أسس سيدي أحمد بن ناصر خزانة علمية كان يبذل الكثير من الأموال النفيسة لشراء الكتب ســواء بالمشــرق والمغرب ، وقد كان يوسع في النفقة على الطلبة ويبذل الأموال لكل العلماء الذين نزلوا بالزاوية للتدريس. أنظر : ما ذكره في هذا الصدد محمد المكي بن موسى الناصري في كتاب الدرر المرصعــة بأخبــار أعيــان درعــة من ص. 45 إلى ص. 53.
74) — نتوجه بالشكر الجزيل المحمودي البشير الذي مكننا من نسخة لهذا الكتاب.
75) — محمد المكي بن موسى الناصري ، الدرر المرصعة من ص.90 إلى ص.103.
76) — يشير العباس الصالحي في الدرر اللامعة إلى بعض المضايقات التي تعرض لها سيدي احمد بن صـــالح من بعض رجال المخزن، أنظر الفصل الثاني عشر من الكتاب الخاص بمناقب سيدي أحمد بن صـــالح ابتداء من ص.30.
77) — فيما يتعلق بالتحول الكبير في العلاقة بين العلويين والناصريين. أنظــر : أحمــد البوزيــدي ، التــاريخ الاجتماعي لدرعة ، البيضاء ، 1994 ، ص. 137.